الوسطية معالمها في العقيدة والعبادة من خلال السنة النبوية: نماذج تطبيقية

Landmarks of Moderation in Islamic Creed and Rituals in the Prophetic Sunnah: A Study of Applied Models

Mercu tanda Kesederhanaan dalam Kepercayaan dan Ibadat Islam Menurut Sunnah: Satu Kajian Applied Models

خالد بن عبدالله العيد*

الملخّص

تعدّ الوسطية صفة دينيّة للأمة الإسلاميّة بها تميّزت عن بقيّة الأمم. وينبعي على المسلمين مراعاة الوسطيّة في الاعتقاد والعبادات معًا كما أمر بها الله تعالى. وقد كان الرسول ﷺ حريصًا على أن تحقق الأمة الإسلاميّة وصف الوسطية في كل شؤونها لكي تتميّز عن اليهوديّة والنصرانيّة اللتان تناقضان منهج الوسطيّة في الحياة. وقد عُني هذا البحث ببيان معالم الوسطيّة المتعلقة بالعقيدة الإسلاميّة والعبادات كما وردت في نصوص السنة النبوية، وذلك من أجل تطوير نماذج تطبيقيّة للوسطيّة في مجال العقيد الإسلاميّة وعباداتها.

الكلمات المفتاحيّة: الوسطية، العقيدة الإسلاميّة، العبادات الإسلاميّة، السنة النبوية، نماذج تطبيقية.

* أستاذ مساعد بقسم الثقافة الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك سعود بالرياض.

Abstract

The moderation is a religious characteristic of Muslim ummah which makes it distinct from other nations. Muslims are required to observe moderation in both belief and practice as ordained by Allah. The Prophet (s.a.w.) wished that Muslim ummah realize the quality of moderation in all its affairs so as to become distinct from Judaism and Christianity that opposed the moderate approach in life. This research is meant to explain the milestones of moderation as they are available in the texts of the Sunnah concerning Islamic creed and rituals, with a view to developing practical models in the areas of Islamic creed and rituals.

Keywords: Moderation, Islamic Creed, Islamic Rituals, Prophetic Sunnah, Practical Models.

Abstrak

Penyederhanaan adalah ciri agama umat Islam yang menyebabkan ia berbeza daripada bangsa-bangsa lain. Orang Islam dikehendaki mematuhi kesederhanaan dalam kepercayaan dan amalan seperti yang telah ditentukan oleh Allah. Rasulullah (saw) berharap umat Islam merealisasikan kualiti kesederhanaan dalam semua hal ehwalnya supaya menjadi berlainan daripada agama Yahudi dan Kristian yang menentang pendekatan sederhana dalam kehidupannya. Kajian ini bertujuan untuk menjelaskan pencapaian kesederhanaan seperti ia didapati dalam teks-teks sunnah yang berkaitan dengan kepercayaan dan ibadat Islam dengan tujuan mengembangkan model praktikal dalam bidang kepercayaan dan ibadat Islam.

Kata Kunci: Kesederhanaan, Kepercayaan Islam, Ibadat Islam, Sunnah , Model Praktikal.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أما بعد:

الوسطيّة لغة تدل على عدة معان، وتأتي بفتح السين (وسَط) وهي اسم لما بين طرفي الشيء، ومنه: مسكت وسَط الحبل. يقول الشاعر:

إِذا رَحَلْتُ فَاجْعَلُونِي وَسَطا   إِنِّي كَبِيرٌ لا أُطِيقُ العُنَّدَا[1]

وتأتي بتسكين السين (وسْط) وهي بهذا ظرف لا اسم، تقول: جلستُ وسْط القوم أي بينهم.

قال سوار بن المضرّب:

إِنِّي كَأَنِّي أَرَى مَنْ لا حَيَاءَ لَهُ   وَلَا أَمَانَةَ وسْطُ النَّاسِ عُرِيَانَا

وقد ذكر علماء اللغة معاني أخرى لكلمة (وسَط) بالفتح، منها ما يلي:

1- صفة بمعنى: خيار، وأفضل، وأنفس، وأجود .

2- العدل.

3- لما له طرفان مذمومان.

4- الشيء بين الجيد والرديء[2]

أما الوسطيّة اصطلاحا تدور حول المعاني اللغوية، وأما الوصول إلى تعريف ينص على أنه تعريف الوسطية فلا بد من إدراك ما يلي:

---

[1] ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر)، 307/3، الزبيدي، أبو فيض السيد محمد مرتضى الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: على شيري، (بيروت، دار الفكر، 1414ه)، 424/8.

[2] انظر: ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، **مقاييس اللغة**، تحقيق: عبدالسّلام محمد هارون، (بيروت: دار الجيل، د.ت) 6/ 108، ابن منظور، لسان العرب، 307/3، الجوهري، إسماعيل بن حماد، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطّار (بيروت: دار العلم للملايين، ط2، 1399ه) 1167/3، ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي، **المخصص**، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت) 238/1، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: محمد سيد كيلاني، (مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي ط1)، ص 522، ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، **النهاية في غريب الحديث والأثر** ، تحقيق طاهر الزاوي، و محمد الطناحي، (بيروت: المكتبة العلمية)، 183/5، ابن عاشور، محمد الطاهر، **تفسير التحرير والتنوير**، 17/2.

أولاً: أن الوسطية وصف رباني لهذه الأمة، وهذا قدر محتوم لا يمكن إزالته، فهو وصف لشريعتها، وأحكامها، وأخلاقها، ومقاصدها .

ثانياً: أن الوسطية ليست شعيرة أو عبادة يطلب القيام بها.

ثالثاً: أن لفظة الوسطية لم ترد في النصوص الشرعية وإنما ورد أصل الكلمة وما يشتق منها .

رابعاً: أن الاصطلاح على مراد ومدلول للوسطية هي محاولة لإنزال بعض المعاني المستفادة من النصوص الشرعية، وهذا لا يعني عدم شموليتها للمعاني الأخرى .

فمن هنا فالوسطية التي هي صفة لهذه الأمة ولشريعتها، وأحكامها، وأخلاقها، ومقاصدها مشتملة حتماً على الخيرية، والاعتدال، والأفضلية، بكل ما تحمله هذه الكلمات من معانٍ حسنة، ذلك أن هذا الوصف ثبت لها من لدن الله سبحانه وتعالى، ثم ليعلم أن وصف الأمة بالوسطية لا يعني شموله جميع أفرادها، وإنما يوصف به من كان متمسكاً بالشريعة، وعلى قدر تمسكه بها يكون نصيبه من وصف الوسطية، وبقدر بُعده وتفريطه يبتعد من هذا الوصف، والله أعلم.

معالم الوسطية في العقيدة في السنة النبوية

قبل البدء في بيان ما اشتملت عليه السنة النبوية من معالم للوسطية في باب الاعتقاد، لا بد من تبيين شمولية السنة لأمر العقيدة وبيانها له، فالسنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع، وبما أنّ العقيدة من التشريع فقد كانت السنة زاخرة ومشتملة على أمور العقيدة جملة وتفصيلاً، ولا أدل على ذلك من حديث جبريل عليه السّلام في سؤاله لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسان وعن السّاعة وعلاماتها. روى الإمام مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد،

حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله** صلى الله عليه وسلم، **وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً**)) قال: صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: ((**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**)) قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: ((**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**)) قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: ((**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**)) قال: فأخبرني عن أمارتها؟ قال: ((**أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**)) قال: ثم انطلق. فلبثت ملياً ثم قال لي: ((**يا عمر أتدري من السائل؟**)) **قلت: الله ورسوله أعلم. قال:** ((**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**[3]. فهذا الحديث شامل لمسائل العقيدة على وجه الإجمال، ومن أمثلة شمولية السنة لمسائل العقيدة على وجه التفصيل ما ذكره أئمة الحديث من أصحاب الكتب الستة وغيرهم – ممن ألف في مسائل الاعتقاد ككتب السنة المسندة– من أحاديث في تفصيلات العقيدة كمسائل توحيد الألوهية، أو الربوبية، أو الأسماء والصفات، أو مسائل الإيمان كالزيادة والنقصان فيه، أو مسائل البعث والنشور، فهذه وغيرها فيها دلالة واضحة على شمولية السنة لمسائل العقيدة جملة وتفصيلاً.

ومن هنا سأذكر –إن شاء الله– بعضاً من معالم الوسطية في باب الإيمان بالله والرسل من خلال السنة النبوية نماذج تطبيقية، والتي ستظهر أن هذه الأمة التزمت

---

[3] الإمام مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، **الصحيح**، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، (استانبول: المكتبة الإسلامية، د.ت)،37/1 رقم 8.

منهج الاعتدال والوسط في عقيدهما، كما قال تعالى:﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة: 143]. يقول الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – عند تفسير لهذه الآية: "وأرى أنَّ الله – تعالى ذكرُه – إنما وصفَهم بأنهم وسطٌ لتوسُّطهم في الدِّين؛ فلا هم أهل غلوٍّ فيه غلوَّ النصارى الذين غلوا بالترهُّب، وقِيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصيرٍ فيه، تقصيرَ اليهود الذين بدَّلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم وكفروا به، ولكنَّهم أهل توسُّط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها"[4]، وفي هدا يقول شيح الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى –:"... فهم وسط في توحيد الله وأسمائه وصفاته، وفي الإيمان برسله وكتبه، وشرائع دينه من الأمر والنهي والحلال والحرام"[5]، فأمة الإسلام وسط بين الأمم، في كل شؤونها، عقيدة وعملاً، وهذا ما دلت عليه السنة النبوية، فمن ذلك على سبيل الاختصار ما يلي:

أولاً: معالم الوسطية في باب الإيمان بالله سبحانه وتعالى

أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق، وأنزل عليه الكتاب وآتاه الحكمة صلوات الله وسلامه عليه، وأمره بتبليغ رسالته وشرائعه. وإن مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم مسائل الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وذلك استمراراً لمنهج الرسل من قبله، وتأكيداً على هذا المبدأ الذي يكون به النجاة في الدنيا والآخرة، فالأنبياء دينهم واحد في أصل العقيدة والتوحيد والإيمان بالله سبحانه يقول تعالى:" (**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ**)(النحل: ٣٦). فالدعوة إلى توحيد الله وعبادته دعوة واحدة، وهي أساس الرسالات التي جاء بها الأنبياء، وإن

---

[4] الطبري، أبو جعفر، **جامع البيان في تأويل القرآن**: (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1418هـ)، ج2، ص 8-9.

[5] ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الحراني، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، تحقيق:علي بن حسن، وعبدالعزي العسكر، وحمدان الحمدان،(الرياض، دار العاصمة، ط 2 ، 1419)، 69/1.

اختلفت شرائعهم إلا أن أصل دينهم واحد، روى البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**أَنا أَولى النَّاس بعيسى ابْن مرْيم في الدُّنيا والآخرة، وَالْأَنبياء إِخوة لعلَّات أُمهاهُم شتى ودينهم واحد**))[6]. قال ابن حجر:"ومعنى الحديث: أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وأن اختلفت فروع الشرائع، وقيل: المراد أن أزمنتهم مختلفة "[7].

ومع أن أصل دين الأنبياء واحد، ودعوتهم إلى هذا الأصل واحدة، إلا أننا نجد بعض أقوام الأنبياء قد غيروا وحرّفوا في هذا الأصل العظيم، وخاصة فيما يتعلق بعبادة الله، أو فيما يتعلق بذات الله سبحانه وتعالى، فمن ذلك:

أولاً: اتخاذ اليهود والنصارى قبور أنبيائهم مساجد، يعبدونها ويدعونها من دون الله، وهذا فيه تفريط في حق الله وما أمرتهم به رُسولهم من عبادة الله وحده، ولهذا نجد تحذير رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته من هذا الانحراف، وبيان عاقبته عند الله يوم القيامة. فعن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ أمّ حبيبة، وأمّ سلمة رضي الله عنهما، ذكرتا كنيسة رأيْنها بالحبشة فيها تصاوير، فذكرتا للنّبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: ((**إِنَّ أُولئك إِذَا كان فيهم الرّجل الصَّالح فمات بنوا على قبره مسجداً، وصوَّروا فيه تلْك الصُّور، فأُولئك شرار الخلق عنْد اللَّه يوم القيامة**))[8]. وعن عائشة، وابن عباس رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**لعنة اللَّه على اليهود والنَّصارى، اتخذوا قبور أنْبيائهم مساجد، يحذِّر ما صنعوا**))[9].

---

[6] البخاري، أبوعبدالله محمد بن إسماعيل، **الصحيح**، (الرياض: مكتبة دار السلام، ط2، 1419هـ)، ص 709 رقم 3443، ومسلم في صحيحه 1837/4 رقم 2365.

[7] ابن حجر، العسقلاني، **فتح الباري**، 489/6.

[8] البخاري، **الصحيح**، ص91 رقم 427، ومسلم، **الصحيح**، 375/1 رقم 528.

[9] البخاري ، **الصحيح**، ص93 رقم 435-436، ومسلم، **الصحيح**، 377/1 رقم 531.

فرسول الله صلى الله عليه وسلم يحذر مما صنع اليهود والنصارى من اتخاذ القبور مساجد، لما في ذلك من عبادتها من دون الله سبحانه وتعالى، وهذا انحراف عن الصراط المستقيم الذي هو وحدانية الله وعبادته وحده، فامتثلت هذه الأمة هذا المنهج، وطبقته عمليّاً، تمثل في تصرف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، روى البخاري في صحيحه، أثراً معلقاً، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه رأى أنس بن مالك رضي الله عنه يصلي عند قبر، فقال عمر: (القبر القبر)[10]، وهذا تحذير من عمر رضي الله عنه، ولفتُ انتباهٍ لأنس رضي الله عنه حتى لا يقع فيما حذر منه صلى الله عليه وسلم. وأما فعل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الأسدي، قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)[11].

فعلي رضي الله عنه ينقل وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم المتمثلة في تسوية القبر المرتفع ارتفاعاً يشبه أن يكون بناءً، وهذا من باب سد الذرائع المفضية لعبادة القبور من دون الله، كما حصل من اليهود والنصارى الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، وهكذا سلك المسلمون الصراط المستقيم في التعامل مع قبره صلى الله عليه وسلم ، أو مع غيره، من حيث امتثال الهدي النبوي في النهي عن البناء على القبور، أو اتخاذها مساجد، فهذا قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر شاهد على امتثال هذه الأمة لوصية نبيها صلى الله عليه وسلم في النهي عن البناء على قبره، أو اتخاذه عيداً، فقد مرت القرون حتى وقتنا هذا و لم يبن على قبره بناءاً، أو يكون عليه

---

[10] البخاري، **الصحيح**، ص91.

[11] مسلم، الصحيح 666/2 رقم: 969.

تصاوير، أو غيرها، مما قد يكون سبباً في انحرافها عن صراط ربها، وهذا من حفظ الله لهذه الأمة التي امتدحها بالوسطية بين الأمم.

ثانياً: فيما يتعلق بالذات الإلهية لله سبحانه وتعالى، فمن جاحد لوجوده سبحانه، ومن منتقص لكماله سبحانه، وثالث مشبه لخلقه به سبحانه وتعالى. ففرعون ومن تبعه من قومه أنكروا ألوهيته سبحانه بل ربوبيته، قال تعالى حكاية عن فرعون :﴿**أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى**﴾ النازعات: ٢٤ . وفي إنكار الألوهية وادعائها لنفسه، قال تعالى حكاية عن فرعون : ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِي**﴾ القصص: ٣٨ . وهكذا نجد الملاحدة في وقتنا المعاصر ينتهجون نفس المنهج الفرعوني في إنكار وجود الخالق، وهم امتداد للدهريين الذين قال عنهم سبحانه وتعالي ﴿ **وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ**﴾ الجاثية: ٢٤.

وأما الطائفة الثانية والتي انتهجت منهج الانتقاص لكمال الله سبحانه وتعالى، ووصفه بصفات النقائص والمعائب فهم **اليهود**، فتحدث القرآن عنهم وعن أقوالهم الشنيعة في حقه سبحانه وتعالى فقال تعالى: ﴿ **لَّقَدْ سَمِعَ اللَّـهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّـهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**﴾آل عمران: ١٨١. وقال تعالى عنهم أيضاً:﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّـهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ** ﴾ المائدة: ٦٤. بل إنك تجد في كتبهم المحرفة من التوراة والتلمود ما يقشعر له البدن، وتصاب بالهلع والروع عندما تقرأ ما كتب في التلمود عن صفات الله من النقص، والمعائب

والتي منها:" التعب والراحة، النوم والاستيقاظ واللعب، والبكاء، ولطم الوجه، والندم، والحزن" [12]، وغيرها من الافتراء والبهتان على الرب سبحانه وتعالى.

وأما الطائفة الثالثة التي انتهجت تشبيه المخلوق بالخالق فهم النصارى وقد تمثل ضلالهم في وصفهم لعيسى عليه السلام بصفات الرب سبحانه وتعالى، بل أعظم من ذلك قولهم: إن المسيح هو الله كما قال تعالى:﴿**لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّـهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ**﴾ المائدة: ١٧. وكذلك أيضا قولهم: إن المسيح ابن الله كما قال تعالى ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّـهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّـهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّـهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ** ﴾ التوبة: ٣٠ . وفي حالة ثالثة قالوا: إنه شريك لله وهو جزء من ثلاثة يتكون منها الإله قال تعالى:﴿**لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّـهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ** ﴾ المائدة: ٧٣. وقد ذكر ابن القيم في كتابه هداية الحيارى نصوصاً من نصوصهم التي يثبتون فيها ربوبية المسيح، وألوهيته، وكونه ابناً لله سبحانه وتعالى [13]. هذا مجمل اعتقادات هذه الطوائف الثلاث، وما كانوا عليه من انحراف في ذات الله سبحانه وتعالى، وأما أمة الإسلام، الأمة التي امتدحت، ووصفت بكونها وسط، فهي مستقيمة، معتدلة، ثابتة في توحيدها، وفي إيمانها، وفي اعتقادها في الله، وفي ذاته سبحانه وتعالى، وهذا ما سأذكره من خلال النصوص الشرعية مقتصراً على السنة النبوية التي هي مناط البحث ومحل الاستدلال .

---

[12] انظر: البار، محمد علي، الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم، (دمشق: دار القلم، ط1 1410هـ.) ص14-41، الخلف، سعود بن عبدالعزيز، **دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية**، (الرياض: مكتبة أضواء السلف، ط1، 1418ه)، ص90-93.

[13] ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر، **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، تحقيق: الدكتور أحمد حجازي، (القاهرة: دار الريان للتراث)، 318-371.

فقد جاءت السنة النبوية مقررة منهج الوسطية المتمثل في الاعتقاد الحق، وسلوك الطريق المستقيم، والعدل والثبات عليه، فتنوعت تلك النصوص في الدلالة على هذا المنهج القويم، والحث على التمسك به، فاشتملت على الأخبار عن وجوده سبحانه وتعالى، وبيان ربوبيته، والأمر بتوحيده، وإفراده بالعبادة سبحانه، وتتريهه جل جلاله عن النقائص، ونفي تشبيهه بالمخلوق أو العكس .

روى البخاري في صحيحه، عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: إِنّي عند النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِذْ جاءه قوم مِنْ بني تميم، فقال: ((**اقبلوا البشرى يا بني تميم**)) قالوا: بشّرْتنا فأعطنا. فدخل ناس مِنْ أهْل اليمن، فقال: ((**اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إِذ لم يقبلها بنو تميم**)) قالوا: قبلنا، جئناك لنتفقّه في الدِّين، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان؟ قال: ((**كان اللَّه ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثمّ خلق السَّموات والأرض، وكتب في الذّكر كل شيء**)) ثمّ أتاني رجل فقال: يا عمران أدرك ناقتك فقد ذهبت! فانطلقت أطلبها، فإذا السّراب ينقطع دونها وايْم اللَّه لوددت أنَّها قد ذهبت و لم أَقم[14]. الشاهد هنا قوله صلى الله عليه وسلم: ((**كان الله ولم يكن شيء قبله**)). فهذا فيه إخبار عن وجوده سبحانه وتعالى.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم كان يدعو عند النّوم: ((**اللَّهم ربّ السّموات السّبع، وربّ العرش العظيم، رَبّنا ورب كل شيء، مترل التّوراة، والإنجيل، والقرآن، فالق الحبّ والنّوى، لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، أنت الأول ليس قبلك شيء، وأنت الآخر ليْس بعدك شيء، وأنت الظّاهر ليس فوقك، شيء وأنت الْباطن ليس دونك**

[14] البخاري، **الصحيح**، ص 1554 رقم 7418.

شيء، اقْض عنّا الدّيْن وأغننا من الفقر))[15] . وهذا الحديث والذي قبله فيهما أثبات وجود الله وربوبيته سبحانه وتعالى، ووصفه بصفات الكمال المطلق.

وأما الأمر بتوحيده سبحانه وتعالى فالنصوص في ذلك كثيرة جداً، فهي إما أمر صريح بذلك، أو بيان لفضل التوحيد، وأنه سبب للنجاة في الدنيا والآخرة، أو غيرها من المعاني الكثيرة التي دلت عليها نصوص السنة المتعلقة بإفراد الله بالعبادة، والمقصود هو الإشارة إلى هذا الأمر فقط. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : ((**أُمرت أنْ أقاتل النّاس حتى يقولوا: لا إله إلّا اللّه، فمن قال: لا إله إلا اللّه فقدْ عصم منّي نفْسه وماله، إلّا بحقِّه وحسابه على اللّه**))[16]، وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: بينا أنا رديف النبي صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل، فقال: ((**يا معاذ بن جبل**)) قلت: لبيك رسول الله وسعديك. ثم سار ساعة ثم قال: ((**يا معاذ**)) قلت: لبيك رسول الله وسعديك. ثم سار ساعة ثم قال: ((**يا معاذ**)) قلت: لبيك رسول الله وسعديك. قال: ((**هل تدري ما حق الله على عباده؟**)) قلت: الله ورسوله أعلم. قال: ((**حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا**)) ثم سار ساعة. ثم قال: ((**يا معاذ بن جبل**)) قلت: لبيك رسول الله وسعديك. فقال: ((**هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه؟**)) قلت: الله ورسوله أعلم. قال: ((**حق العباد على الله أن لا يعذبهم**))[17].

وفي بيان أول ما يجب دعوة الناس إليه، ما رواه البخاري أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً رضي الله عنه إلى

---

[15] مسلم، **الصحيح**، 2084/4 رقم 2713، والإمام أحمد، أحمد بن محمد بن حنبل، **المسند**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1416ه)، 139/15رقم 9247.

[16] البخاري، **الصحيح**، ص 227 رقم 1399، مسلم، **الصحيح**، 51/1 رقم 20 .

[17] البخاري، **الصحيح**، ص 1271 رقم 5967، مسلم، **الصحيح**، 58/1 رقم 30.

نحو أهل اليمن قال له: ((**إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم، تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم، وتوق كرائم أموال الناس**))[18]. وفي بيان فضل التوحيد وإفراد الله بالعبادة، ما رواه البخاري أيضاً من حديث أَبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**أتاني جبريل فبشرني أنه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة**)) قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: ((**وإن سرق وإن زنى**))[19].

وأما ما ورد من النصوص النبوية في تتريه الله فكثير أيضاً، فمن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات، فقال: ((**إن الله عز وجل لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور -وفي رواية: النار- لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**))[20].

وفي إثبات صفات الكمال لله سبحانه وتعالى وتتريهه عن النقائص وعن مشابهة خلقه، فقد توافرت عليها نصوص السنة النبوية، وفاضت بها كتب السنة، وألفت فيها المؤلفات، والمقصود هنا الإشارة إلى ما يكون فيه الدلالة على وسطية هذه الأمة حيث نزهت خالقها عن النقائص، وعظمت خالقها من أن يشبهه أحد من خلقه سبحانه، ممتثلة في ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ**

---

[18] البخاري، **الصحيح**، ص 1545 رقم 7372، مسلم، **الصحيح**،50/1 رقم 19.

[19] البخاري، **الصحيح**، ص 1571 رقم 7487، مسلم، **الصحيح**، 94/1 رقم 94 .

[20] مسلم، **الصحيح**، 161/1 رقم 179.

الْبَصِيرُ ﴾ الشورى: ١١ . فعن أبيّ بن كعب رضي الله عنه أَنّ المشركين قالوا للنّبي صلى الله عليه وسلم: يا محمّد انسبْ لنا ربّك، فأنزل اللّه تبارك وتعالى: ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّـهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّـهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾** (الإخلاص)[21]، ومن الأحاديث التي فيها إثبات صفات الكمال لله سبحانه وتعالى وإثبات وحدانيته وألوهيته، وأنه حي لا يموت سبحانه وتعالى، ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنه قال: إنّ النّبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: ((**أعوذ بعزّتك الّذي لا إله إلا أنْت الّذي لا يموت والجنّ والإنس يموتون**))[22]. ومما جاء في إثبات العزة والعظمة والكبرياء والجبروت لله سبحانه وتعالى، ما رواه البخاري ومسلم -واللفظ له- في حديث الشفاعة وفيه قوله عن ربه: ((**وعزتي وكبريائي، وعظمتي وجبريائي، لأخرجن من قال لا إله إلا الله**))[23]، هذه بعض النصوص على وجه الاختصار، وإلا فكما ذكرت فالنصوص كثيرة جدّا، ألفت فيها المؤلفات الخاصة بذكر أحاديث الأسماء والصفات[24] .

---

[21] الإمام أحمد، **المسند**، 144/35 رقم 21219 ، الترمذي، أبوعيسى محمد بن عيسى أبو سورة، **الجامع الصحيح (سنن الترمذي)**، تحقيق: أحمد شاكر، (مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، د. ت.)، 415/5 رقم 3364، وغيرهما، وإسناده فيه ضعف لضعف سعد بن محمد بن ميسر، وعيسى بن ماهان، والحديث حسن لغيره بشواهده ومتابعاته، انظر: الألباني، محمد ناصر الدين الأباني، **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ على الأمة**، (الرياض: مكتبة المعارف، ط1، 1412ه)، 350/11.

[22] البخاري، **الصحيح**، 1547 رقم 7383، ومسلم، **الصحيح**، 2086/4 رقم 2717.

[23] البخاري، **الصحيح**، 1547 رقم 7510 ، ومسلم، **الصحيح**، 182/1 رقم 193.

[24] انظر: ، عبدالله بن الإمام أحمد ،**عبدالله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني**، السنة، تحقيق: د محمد بن سعيد القحطاني، (الرياض: دار علم الكتب، ط4،، 1416ه)، اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبري، **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، تحقيق: د أحمد بن سعد الغامدي، (الرياض: دار طيبة ط4، 1416ه) ، وغيرهما.

والشاهد أن أمة الإسلام وما حدَّثها بها رسولها صلى الله غليه وسلم امتثلت -في حقّ ربها وما يجب له في توحيده وتتريهه عن النقائص — ما جاءت به السنة، سالكة في ذلك الطريق المستقيم الذي هو دلالة على الوسطية في باب توحيد الله وتتريهه، وفي هذا دلالة على صفاء العقيدة، وسلامتها من تأويل المؤولين، وجحد الجاحدين، وتشبيه المشبهين، وأن الأمم -التي ذكرت فيما سبق- قد ضلت وانحرفت، بتحريفها لكتب أنبيائها، واتباعهم لغواية الشيطان، فكانوا بين إفراط وتفريط، ونفي وإثبات، وزيغ وضلال عن علم أو عن جهل، تخبطوا في حقّ ربهم، وفي تتريهه عن النقائص، فمُنَقّص لعظمة الله، ومُشبه لخلق الله بالله، ومانح له صفات الخالق الواحد الأحد، وهذا هو الضلال بعينه، والانحراف بوصفه عن الصراط المستقيم، فلله الحمد على هدايته لهذا الأمة وإرشادها للصراط المستقيم، فأثنى عليها ربها وامتدحها بوسطيتها فله الحمد كله أولّه وآخره .

ثانيا: معالم الوسطية في باب الإيمان بالرسل عليهم السلام

أرسل الله رسله – عليهم السلام – وأنزل كتبه عليهم ليكون هداية للبشر، وليُبيِّنوا لهم رسالة ربهم، وما أمرهم به من عبادته وحده، وليحكّموا شريعته، ويهتدوا بهديه، فأدّوا ذلك حق أداء، ونصحوا لأممهم حق النصحية، وبينوا وبلغوا ما أوحي إليهم، إلا أن بعضاً من أمم الرسل قد تقلبوا بين إفراط وتفريط في حق أنبياء الله، فمكذب وجاحد لنبوتهم ورسالتهم، بل تعدى الأمر ذلك فكان الاعتداء عليهم بالطرد، بل أشد من ذلك بالقتل، وبين غالٍ فيهم، ومترلهم مترلة الربوبية والألوهية، وواصف لهم بصفات الربوبية التي لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى. وبين هذا وذاك جاءت أمة الإسلام لتعتقد في أنبياء الله ورسله ما أوجبه ربهم عليهم، وما حدثهم به رسولهم صلى الله عليه وسلم به فيما يجب لهم، فكانة أمة شاهدة بالعدالة لهم وعليهم بتبليغ الرسالة، وأداء الأمانة، وعلى أممهم بما جاء به أنبياؤهم من الوحي والهداية، وهذا ما سأذكره فيما يلي من تبيين موقف بعض الأمم بين الإفراط والتفريط في حق

أنبياء الله ورسوله، وبين هداية السنة النبوية ووسطيتها في هذا الباب فأقول مستعينا بالله:

أولاً: موقف اليهود

تحدث القرآن الكريم بكل وضوح وجلاء عن موقفهم من أنبياء الله ورسوله، وتمثل هذا الموقف فيما يلي:

1- قتلهم لبعض أنبياء الله، قال الله تعالى:﴿**لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ**﴾(المائدة: ٧٠). وممن قتلوا من أنبياء الله زكريا وابنه يحيى عليهما السلام، وسجل القرآن ادعائهم قتل عيسى ابن مريم رسول الله كما قال تعالى﴿**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّـهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ**﴾(النساء: ١٥٧). بل إن اليهود قد غدروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وحاولوا قتله، ثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه:" أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة، فأكل منها، فجيء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك؟ فقالت: أردت لأقتلك. قال:((**ما كان الله ليسلطك على ذاك**)) قال أو قال علي رضي الله عنه قال: قالوا: ألا نقتلها؟ قال: **لا**، قال: فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم"[25].

2- تفريقهم بين أنبياء الله من حيث الإيمان ببعض والكفر ببعض قال تعالى:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّـهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّـهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا**﴾(النساء: ١٥٠).

3- تنقصهم لبعض أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام ورميهم ببعض العيوب الخلقية، وكذا رميهم لهم بارتكاب كبائر الذنوب واتهامهم بكل رذيلة، قال تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا**

[25] البخاري، **الصحيح**، ص 520 رقم 2617 ، ومسلم: **الصحيح**، 1721/4 رقم 2190).

الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّـهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّـهِ وَجِيهًا﴾(الأحزاب: ٦٩). فعن أبي هريرة رضي الله عنه : قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم:((**إنّ موسى كان رجلاً حييّاً ستّيراً، لا يرى منْ جلده شيء اسْتحياءاً منْه، فآذاه من آذاه منْ بني إسْرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التّستّر إلّا من عيب بجلده، إمّا برص، وإمّا أدْرة، وإمّا آفة. وإنّ اللّه أراد أن يبرّئه ممّا قالوا لموسى، فخلا يوماً وحده، فوضع ثيابه على الحجر، ثمّ اغْتسل، فلمّا فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإنّ الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتّى انتهى إلى ملإ من بني إسرائيل، فرأوه عريانا أحسن ما خلق اللّه، وأبرأه ممّا يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربا بعصاه، فواللّه إنّ بالْحجر لندباً من أثر ضربه، ثلاثاً، أو أربعاً، أو خمساً**))[26].

وهذه المواقف من اليهود هي عين التفريط والجفاء والعداوة لأنبياء الله الذين اصطفاهم الله واختارهم لتبليغ رسالته، قال تعالى:﴿**مَا قَدَرُوا اللَّـهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّـهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ اللَّـهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّـهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾ (الحج: ٧٤ — ٧٥).

ثانيا: موقف النصارى

لئن كان اليهود غلب عليهم التفريط والجفاء في حق الأنبياء والمرسلين، فإننا نجد في المقابل موقف فيه إفراط وغلو في حق بعض أنبياء الله ورسله، وقد يكون هناك أوجه تشابه في بعض الأمور، فالنصارى اشتركوا مع اليهود في إيمانهم ببعض وكفرهم ببعض، كما أن اليهود شابهوا النصارى في الغلو في بعض أنبياء الله . ولهذا نجد كلا الطائفتين امتزج موقفهم بين تفريط وإفراط، وغلو وجفاء، وبما أننا بصدد ذكر موقف النصارى من أنبياء الله ورسله فقد تمثل هذا الموقف في نقطتين فيما ظهر لي:

---

[26] البخاري، **الصحيح**، ص 699 رقم 3404، مسلم، **الصحيح**، 267/1 رقم 339.

الموقف الأول: وهو الإيمان ببعض والكفر ببعض

فقد قال تعالى عنهم وعن غيرهم:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّـــهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّـــهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا**﴾(النساء:١٥٠). يقول ابن جرير الطبري:" يعني بقوله جل ثناؤه: **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّـــهِ وَرُسُلِهِ** ، من اليهود والنصارى...ثم قال:" ﴿ **وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ** ﴾ يعني أنهم يقولون:"نصدِّق بهذا ونكذِّب بهذا"، كما فعلت اليهود من تكذيبهم عيسى ومحمدًا صلى الله عليهما وسلم، وتصديقهم بموسى وسائر الأنبياء قبله بزعمهم، وكما فعلت النصارى من تكذيبهم محمدًا صلى الله عليه وسلم، وتصديقهم بعيسى وسائر الأنبياء قبله بزعمهم"[27]،وقال ابن كثير: "يتوعد تبارك وتعالى الكافرين به وبرسله من اليهود والنصارى، حيث فَرّقوا بين الله ورسله في الإيمان، فآمنوا ببعض الأنبياء وكفروا ببعض، بمجرد التشهّي والعادة، وما ألفوا عليه آباءهم، لا عن دليل قادهم إلى ذلك، فإنه لا سبيل لهم إلى ذلك، بل بمجرد الهوى والعصبية. فاليهود –عليهم لعائن الله–آمنوا بالأنبياء إلا عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، والنصارى آمنوا بالأنبياء وكفروا بخاتمهم وأشرفهم محمد صلى الله عليه وسلم..." ثم قال:" والمقصود أن من كفر بنبي من الأنبياء، فقد كفر بسائر الأنبياء، فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض، فمن رد نبوته للحسد، أو العصبية، أو التشهّي، تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيمانًا شرعيًّا، إنما هو عن غرض وهوى وعصبية "[28].

---

[27] الطبري: جامع البيان 5/6.

[28] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: مصطفى السيد، وآخرون، (القاهرة: مؤسسة قرطبة ط1421،2ه)، 573/1.

الموقف الثاني: الغلو والإفراط

وهذا الموقف منهم تمثل في الغلو في حق نبي الله عيسى عليه السلام، حيث غلوا فيه ووصفوه ورفعوه فوق مكانته البشرية، ورسالته إليهم، فكما تحدث عنهم القرآن بجعلهم عيسى ابن مريم هو الله، وكذا بجعلهم له أياه ثالث ثلاثة، أو أنه ابن الله، وكلها قمة في الإفراط والغلو، ولهذا كفّرهم الله بهذا فقال سبحانه:﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّـهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾(المائدة:٧٢). وقال تعالى:﴿**لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّـهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ**﴾(المائدة:٧٣). وقال تعالى:﴿**وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّـهِ**﴾(التوبة:٣٠) فالنصارى لم يؤمنوا بعيسى عبداً لله ورسولاً نبياً، بل جعلوه هو الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة. إذاً هذه إشارة إلى مواقف هاتين الطائفتين من أنبياء الله ورسله .

موقف أمة الإسلام

أما هذه الأمة فقد امتدحت من قبل ربِّها بأنها أمة وسطاً، وقد حققت هذه الوسطية في كل شؤونها، منطلقة في اعتقاداتها، وتشريعاتها، من وحي ربها في كتابه، وسنة نبيها صلى الله عليه وسلم، وبما أننا بصدد ذكر وسطية السنة في هذا الباب، فقد تظافرت النصوص النبوية في مسألة الأنبياء والمرسلين، متنوعة في ذلك حسب ما يقتضيه الموقف الذي ذكرت فيه، فمن ذلك: تبين أن الإيمان بالرسل ركن من أركان الإيمان، الذي لا يتم إيمان الشخص إلا به، وكذلك تبين الاعتقاد الحق في بعض الأنبياء كعيسى عليه السلام، وبيان حقيقته، وأيضاً أمر الأمة بالاعتدال وعدم الغلو فيه صلى الله عليه وسلم، وغيرها من النصوص النبوية في هذا الباب، بل دلت السنة على أن هذه الأمة شاهدة لكل أنبياء الله بتبليغهم الرسالة لأممهم، وأن المرسلين يستشهدون بهذه الأمة على تبليغهم ما أُوحي إليهم لأممهم، فأي منزلة نالتها هذه الأمة إلا بهداية ربها لها وامتثالها واقتدائها برسولها صلى الله عليه وسلم. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم:"كان يوماً بارزاً للنّاس، إذ أتاه رجل يمشي فقال:

يا رسول اللّه ما الإيمان؟ قال:((**الإيمان أن تؤمن باللّه، وملائكته، وكتبه، ورسله، ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر...**))[29]. فهذا النص النبوي يؤكد على إن الإيمان لا يكون إلا بهذه الأمور الستة والتي منها الإيمان بالمرسلين، ولهذا أثنى القرآن على أمة الإسلام، وشهد لها بهذا الإيمان فقال سبحانه وتعالى:﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّـهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾(البقرة: ٢٨٥).

وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في تهجده ما يدل على أن النبيين حق، روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: كان النّبيّ صلى الله عليه وسلم إذا قام منْ اللّيل يتهجّد قال: ((**اللّهمّ لك الحمد، أنت قيّم السّموات والأرض ومن فيهنّ، ولك الحمد، لك ملك السّموات والأرض ومن فيهنّ، ولك الحمد، أنت نور السّموات والأرض، ولك الحمد، أنت الحقّ، ووعدك الحقّ، ولقاؤك حقّ، وقوْلك حقّ، والجنّة حقّ، والنّار حقّ، والنّبيّون حقّ، ومحمّد** صلى الله عليه وسلم **حقّ، والسّاعة حقّ، اللّهمّ لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكّلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لِي ما قدّمت وما أخّرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدّم، وأنت الْمؤخّر، لا إله إلّا أنت، أو لا إله غيرك**))[30]. بل رتب النبي صلى الله عليه وسلم دخول الجنة ومغفرة الذنوب بالشهادة بالوحدانية لله، وبرسالته صلى الله عليه وسلم ، وبنبوة ورسالة عيسى عليه السلام، وأنه كلمة الله. فعن عُبادة رضي الله عنه عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال: ((**من شهد أن لا إله إلّا اللّه وحده لا شريك له، وأنّ محمّدا عبده ورسوله، وأنّ عيسى**

[29] البخاري، **الصحيح**، ص 14 رقم 50، مسلم، **الصحيح**،40/1 رقم 10.

[30] البخاري، **الصحيح**، ص 220 رقم 1120. ومسلم، الصحيح 532/1 رقم 769 .

عبد اللّه ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، والجنّة حقّ، والنّار حقّ، أدخله اللّه الجنّة على ما كان من العمل))[31].

فتبين من خلال هذه النصوص منزلة الأنبياء في الإسلام وما يجب لهم من الإيمان، فلم يكن هناك إفراط ولا تفريط بل وسطية واعتدال، والتزام بما أوجبه الله عليها، فكانت هذه الأمة التي امتدحت بالوسطية قد أنزلت رسول الله وأنبيائه منزلتهم من الإيمان بهم، وعرفت ما يجب لهم من التعظيم، وعدم استنقاصهم، بل اتبعت ما أمرهم به رسولهم صلى الله عليه وسلم ، وما بينه لهم في سنته، فكانت بحق أمة معتدلة، لم تغلوا و لم تجفوا ، فلله الحمد والمنة على هذه الهداية والنعمة.

معالم الوسطية في العبادة من خلال السنة النبوية

شرع الله العبادة لعباده قربة ورفعة لهم في الدنيا والآخرة، وبين سبحانه الغاية من خلقه الجن والإنس، ألا وهي: العبادة، قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ الذاريات: ٥٦. وبيّن سبحانه أن الغاية المحبوبة والمرضية لله هي: عبادته، ولذا أمر سبحانه وتعالى الناس أجمعين بعبادته، فقال سبحانه:﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ** ﴾ البقرة: ٢١ . ووصف الملائكة بذلك، فقال تعالى في حق الملائكة ﴿**إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ**﴾(الأعراف: ٢٠٦). وبما أن العبودية من أشرف المقامات، فقد وصف بها نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم في أشرف الأحوال والمقامات، ففي مقام الإسراء قال تعالى:﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ**﴾(الإسراء:)١، وفي مقام الإيحاء قال تعالى:﴿**فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ**﴾ (النجم: ١٠)، وفي مقام الدعوة قال تعالى ﴿ **وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّـهِ يَدْعُوهُ**﴾ (الجن: ١٩). وقبل بيان معالم الوسطية في العبادة، أبين كيف كانت هذه

---

[31] البخاري، **الصحيح**، ص 707 رقم 3435. ومسلم، الصحيح 57/1 رقم 28.

الأمة وسط في هذا الباب بين اليهود والنصارى. فاليهود أُمروا كما أُمر غيرهم من الناس بالعبادة، ولكنهم انشغلوا بالحياة الدنيا، وكانوا أحرص الناس على الحياة الفانية، فألهتهم عما أمروا به، فكانت الدنيا هي غايتهم، ومقصدهم، ومنتهى آمالهم، وقد ذكر القرآن حرصهم على الحياة، فقال تعالى ﴿ **وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ** ﴾ البقرة: ٩٦.

فالحرص على الحياة والانشغال بها، وجعل الدنيا هي الغاية والمقصد، يلهي عن الغاية التي من أجلها خُلق الإنسان وهي: عبادة الله وحده، ولهذا ذكر الله هذه الصفة عن اليهود في مقام الذم، وبين أن حرصهم يمتد بالواحد منهم حتى يتمنى أن يعمر ألف سنة، ولن يكون هذا سبب في منع عذاب الله عنهم قال تعالى: ﴿ **يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّــهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ** ﴾ البقرة: ٩٦. فاليهود بهذا المنهج الذي يمثلون جانب التفريط والجفاء والابتعاد عن الغاية التي من أجلها خُلق الإنسان .

ويقابل هذا المنهج، منهج الإفراط، والغلو، والابتداع في الدين، بالرهبانية التي سلكها النصارى بجهلهم ، وأدى بهم إلى الابتداع في الدين، والتعبد بما لم يكتبه الله عليهم، ومنع الاستمتاع بما أباحه الله من طيبات الرزق، ومن الزينة في الحياة الدنيا، يقول تعالى واصفاً منهجهم المنحرف ﴿ **وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّــهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ**﴾(الحديد: ٢٧) . قال ابن كثير :" { **وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا** } أي: ابتدعتها أمة النصارى { **مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ** } أي: ما شرعناها لهم، وإنما هم التزموها من تلقاء أنفسهم ، وقوله: { **إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّــهِ** } فيه قولان، أحدهما: أنهم قصدوا بذلك رضوان الله، قاله سعيد بن جبير، وقتادة. والآخر: ما كتبنا عليهم ذلك

إنما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله، وقوله: { **فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا** } أي: فما قاموا بما التزموه حق القيام. وهذا ذم لهم من وجهين، أحدهما: في الابتداع في دين الله ما لم يأمر به الله. والثاني: في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قربة يقربهم إلى الله، عز وجل."[32]، يقول جمال الدين القاسمي في تفسيره :" الرهبانية هي المبالغة في العبادة والرياضة، والانقطاع عن الناس، وإيثار العزلة والتبتل "[33].

وأما أمة الإسلام فكانت كما وصفها الله جل وعلا بأمة الوسط، والسالكة للصراط المستقيم في كل شؤونها اعتقاداً وتعبداً، متبعة في ذلك هدي نبيها صلى الله عليه وسلم، مبتعدة كل البعد عن ما يكون سبباً في انحرافها، إفراطاً وتفريطاً قال تعالى:﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**﴾(الفاتحة: ٦ – ٧). وقال صلى الله عليه وسلم :((**فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**))[34].

---

[32] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 316/4.

[33] القاسمي، محمد جمال الدين القاسمي، **محاسن التأويل**، اعتنى به: محمد فؤاد عبدالباقي، (مصر: دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1376هـ)، 5698/16.

[34] أبو داود السجستاني، أبوداود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق: عادل مرشد و سليم عامر، (عمّان: دار الأعلام، ط1، 1423هـ)، 200/4 رقم 4607، والترمذي: **السنن**، 44/5 رقم 2676، كلاهما من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه بسند صحيح.

فبهذا الهدي، وبغيره من النصوص النبوية استقامت هذه الأمة، والتزمت منهج الوسط في كل شؤونها، ومن خلال النظر في نصوص السنة ظهر لي أن معالم المنهج الوسط في العبادة كثيرة، ويصعب حصرها والتفصيل فيها، وبما أن المقصود من هذا البحث الإشارة إلى نماذج تطبيقية فيمكن أن يشار إلى أبرز هذه المعالم فيما يلي:

الأول: الأمر بالالتزام بما فرضه الله وشرعه .

الثاني: النهي عن الابتداع والتحذير من ذلك .

الثالث: النهي عن الغلو والتشدد .

الرابع: بيان أن المشقة على النفس ليست مطلباً شرعياً .

الخامس: النهي عن التفريط في الحقوق والواجبات البدنية والأسرية .

السادس: مراعاة حال الضعيف وذي الحاجة في العبادات الجماعية .

هذه أبرز معالم الوسطية على وجه الاختصار، أما من حيث دلالة النصوص النبوية عليها فكما يلي :

الأول: الأمر بالالتزام بما فرضه الله وشرعه

قد فرض الله تعالى فرائض وحدّ حدوداً، وبيّن سبحانه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم أن أحب ما تقرب به العبد إليه هو ما افترضه عليه، وأن زيادته في النوافل سبيل لزيادة محبة الله له، فالالتزام بهذا الأمر، وعدم التفريط أو الإفراط فيه، هو منهج الوسط، ومنهج التعبد لله سبحانه وتعالى، رُوي عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه مرفوعاً قال: ((**إنّ الله – تعالى – فرض فرائض فلا تضيعوها، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها، ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء من غير نسيان لها رحمة**

لكم فلا تبحثوا عنها))[35] ، قال ابن رجب :"فحديث أبي ثعلبة قسم فيه أحكام الله أربعة أقسام: فرائض، ومحارم، وحدود، ومسكوت عنه، وذلك يجمع أحكام الدين كلها .....وذكر عن ابن السمعاني قوله :" من عمل بهذا الحديث فقد حاز الثواب وأمن من العقاب، لأن من أدى الفرائض، واجتنب المحارم، ووقف عند الحدود، وترك البحث عما غاب عنه، فقد استوفى أقسام الفضل، وأوفى حقوق الدين، لأن الشرائع لا تخرج عن هذه الأنواع المذكورة في هذا الحديث."[36] ، قلت: وقد جاء في الحديث الصحيح أن أحب ما تقرب به العبد إلى الله تعالى هو ما افترضه عليه، وذلك فيما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((**إن الله قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه**...)).[37] ولذا نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم -لما سأله الأعرابي عن الفرائض وأنه لن يزيد عليها – قال عنه : ((**من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**))[38].

[35] الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، **المعجم الأوسط**، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، (د. م ، دار إحياء التراث العربي، د. ط، د. ت)، 265/7 رقم 7461، أبونعيم الأصفهاني، أحمد بن عبدالله الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، ، 1409ه)، 17/9، البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، **السنن الكبرى**، تحقيق: محمد عبدالقادر عطاالله، (بيروت: دار الكتب العلمية ط3، 1424ه)، 21/10 موقوفاً، والحديث له علتان: الانقطاع، والاختلاف في رفعه ووقوفه، والخلاصة أنه ضعيف بهذا الإسناد للانقطاع بين مكحول وأبي ثعلبة، وقد رجح ابن رجب عدم سماعه منه عند شرحه لهذا الحديث، انظر: ابن رجب، زين الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين الدمشقي الحنبلي،جامع العلوم والحكم، تحقيق: طارق عوض الله، (الدمام: دار ابن الجوزي ط4، 1423ه)، ص 520.

[36] ابن رجب: **جامع العلوم والحكم**، ص522.

[37] البخاري، **الصحيح**، ص 1372 رقم 6501.

[38] البخاري، **الصحيح**، ص 276 رقم 1397 ، ومسلم : **الصحيح**، 44/1 رقم 14.

وهذا يدل على أن مقصد الشرع في ترتيبه لدخول الجنة قائم على الالتزام بما فرض الله أولاً دون إفراط ولا تفريط، إفراط يكون معه الغلو المخالف للهدي النبوي، أو تفريط يكون معه الانحراف عن الصراط المستقيم، الذي هو هداية الله ووسطية دينه وشرعه، وهذا المقصد لا يعني عدم المسابقة والمسارعة في الخير من نوافل وغيرها مما يتقرب به إلى الله تعالى فذلك خير على خير .

الثاني: النهي عن الابتداع والتحذير من ذلك

اهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الأمر أشد الاهتمام، تمثّل فيما جاء عنه صلى الله عليه وسلم من نصوص شرعية تبين خطر هذا الأمر، والذي يعد إفراطاً فيما شرعه الله، بل قد يصل الأمر إلى اتهام الشرع بالنقص الذي قد أكمله الله، وبلّغه رسوله صلى الله عليه وسلم. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد**))[39]، قال ابن حجر:"وهذا الحديث معدود من أصول الإسلام، وقاعدة من قواعده، فإن معناه من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فلا يلتفت إليه"[40] وقال ابن رجب :" كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله، فهو مردود على عامله، وكل من أحدث في الدينا ما لم يأذن به الله ورسوله فليس من الدين في شيء: (**ليس عليه أمرنا**)[41] إشارة إلى أن أعمال العاملين كلهم ينبغي أن تكون تحت أحكام الشريعة، فتكون أحكام الشريعة حاكمة عليها بأمرها ونهيها، فمن كان

[39] البخاري، **الصحيح**، ص 540 رقم، 2697 ، ومسلم : **الصحيح**، 1343/3، رقم 2718.

[40] ابن حجر، **فتح الباري**، 302/5.

[41] هدا اللفظ مسلم .

عمله جارياً تحت أحكام الشريعة، موافقاً لها فهو مقبول، ومن كان خارجاً عن ذلك فهو مردود ".[42]

قلت: قد كانت وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته في آخر حياته التحذير من الابتداع في الدين، روى الإمام أحمد في مسنده عن عرباض بن سارية قال: صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت لها الأعين، ووجلت منها القلوب، قلنا أو قالوا: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع؟ فأوصنا. **قال:** ((**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن كان عبدًا حبشيًا، فإنه من يعش منكم يرى بعدي اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وإن كل بدعة ضلالة**))[43]. فالابتداع في الدين ضلال وانحراف عن الطريق المستقيم، وفيه ميل إلى جهة الضلال الذي يكون معه ترك ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الهدي والاستقامة، ولذا كان الأمر بالتمسك بسنته، وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، لأن فيهما النجاة والهداية والاستقامة على أمر الله، ومن هنا كان النهي عن الابتداع لما فيه من مخالفة المنهج الوسط في السنة النبوية، ولما فيه من الميل والانحراف عن شرع الله . إذاً فالوسطية هي الاستقامة على الشرع، والابتداع في دين الله انحراف وميل عن منهج الوسطية .

الثالث: النهي عن الغلو والتشدد

وهذا من معالم الوسطية في العبادة، وذلك أن من معاني الوسطية الاستقامة، والغلو في الدين فيه مجاوزة للحد، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:" الغلو: مجاوزة الحد،

---

[42] ابن رجب، **جامع العلوم والحكم**، ص 118-119.

[43] الإمام أحمد: **المسند**، 373/28 رقم 17144 ، والدارمي، الحافظ أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، **سنن الدارمي**، تحقيق: حسين سليم أسد، (الرياض: دار المغني ط1،، 1421ه)، 229/1، والحديث صحيح بمتابعاته وشواهده.

بأن يزاد في الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك".[44] ويقول ابن حجر في تعريفه للغلو:" المبالغة في الشيء والتشدد فيه بتجاوز الحد ".[45] ولتقرير هذا المنهج الوسطي في السنة النبوية جاء النهي عن الغلو، والتشدد، والتحذير من ذلك، وتنوعت السنة في هذا الأمر سواء في التطبيق العملي، أو في التأصيل التشريعي، فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس -قال يحيى: لا يدري عوف عبد الله أو الفضل- قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة العقبة، وهو واقف على راحلته: ((**هات القط لي**)) فلقطت له حصيات هن حصى الخذف، فوضعهن في يده، فقال: ((**بأمثال هؤلاء مرتين وقال بيده -فأشار يحيى أنه رفعها- وقال: إياكم والغلو فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين**))[46] فهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم استغل موقفاً عمليّاً للتحذير من الغلو، الذي هو سبب هلاك من كان قبلنا، فالرمي بالحجارة الكبيرة قد يُظن أنها أبلغ في التعبد من الرمي بالحجارة الصغيرة، فأرشد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحق في ذلك، وبين خطورة الغلو الذي كان سبب هلاك من قبلنا، وهذا النص وإن كان جاء في رمي الجمارات فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وهذا ما تدل عليه النصوص الكثيرة . وفي الجانب التأصيلي فنجد أن النصوص قد تنوعت في ذلك، فإما نهي عن التشدد الذي هو سبيل

---

[44] ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الحراني، **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، تحقيق: الدكتور ناصر العقل، (الرياض: مكتبة الرشد)، 289/1.

[45] ابن حجر، **فتح الباري، ص**13، 278.

[46]أبو داود: **السنن،** 298/5 رقم 3248، والنسائي، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي، **سنن النسائي،** اعتنى به: عبدالفتاح أبو غدة، (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية)، 268/5 رقم3057. وإسناده صحيح لثقة رواته، وصححه ابن خزيمة ، أبو بكر محمد بن إسحاق، صحيح ابن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، (بيروت: المكتب الإسلامي)، رقم (2867) وابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان البستي، **صحيح ابن حبان،** بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1414ه)، برقم (3879).

الغلو، أو أمر بالقصد والتيسير الذي هو منهج الوسط، أو بيان لسوء عاقبة التنطع الذي هو معنى من معاني الغلو. فأما النهي عن التشدد فمن ذلك ما رواه أبو داود في سننه، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول « **لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم، فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديار (رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم))**[47].

وأما الأمر بالقصد والتيسير فمن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال: ((**إنّ الدّين يسر، ولن يشادّ الدّين أحد إلّا غلبه، فسدّدوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والرّوحة وشيء من الدّلجة**))[48] وفي رواية أخرى: ((**لن ينجّي أحدا منكم عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول اللّه؟ قال: ولا أنا، إلّا أن يتغمّدني اللّه برحمة، سدّدوا وقاربوا، واغدوا وروحوا وشيء من الدّلجة، والقصد القصد تبلغوا**))[49]. فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه ومعاذ ابن جبل إلى اليمن فقال لهما :

---

[47] أخرجه أبو داود: **السنن**، 267/4 ، أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، (دمشق: دار الثقافة العربية ط1، 1412ه)، 365/5 رقم 3694، ورواته ثقات إلا سعيد بن عبدالرحمن بن أبي العمياء، وثقه ابن حبان ، وقال الذهبي في الكاشف : "وثق" وقال ابن حجر في التقريب : مقبول انظر ترجمته : المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق: بشار عواد، (بيروت: مؤسسة الرسالة ط1، 1422ه)(535/10)، الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد، **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**، تحقيق: محمد عوامة و أحمد الخطيب، (جدة: دار القبلة، ومؤسسة علوم القرآن)، (رقم 1922)، ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب**، تحقيق: محمد عوامة، (بيروت: دار البشائر الإسلامية ط1،، 1406ه)، (رقم 2353) والحديث بهذا الإسناد حسن.

[48] البخاري، **الصحيح**، ص 12 رقم 39 .

[49] البخاري، **الصحيح**، ص1365، رقم 6463، ومسلم، **الصحيح**، 2169/4 رقم 2816 .

((**يسّرا ولا تعسّرا، وبشّرا ولا تنفّرا، وتطاوعا**)).[50] وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال: ((**يسّروا ولا تعسّروا، وبشّروا ولا تنفّروا**)).[51] وقد بوب البخاري في صحيحه بقوله:" باب قول النّبيّ صلى الله عليه وسلم :**يسّروا ولا تعسّروا، وكان يحبّ التّخفيف واليسر على النّاس** ". وأما بيان سوء عاقبة المتنطعين فمن ذلك ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((**هلك المتنطعون**)). قالها ثلاثا .[52] إذاً فالتشدد الذي يظن معه التقرب إلى الله -تبين لنا من هذه النصوص- أنه قد يكون سبب في الهلاك سواء في الدنيا أو الآخرة ، وأن المنهج الحق في ذلك متمثل في وسطية يكون معها التزام بشرع دون إفراط ولا تفريط.

الرابع: بيان أن المشقة على النفس ليست مطلباً شرعياً

جاءت السنة النبوية بهذا المعلم لتحقيق الوسطية في باب العبودية، وذلك أن التشريع لم يأت لجلب المشقة على النفس، بل كان التأصيل في السنة الأمر بما يطاق، وعدم تكليف النفس ما لا تطيق، ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من انحرف عن هذا المبدأ، أنكره أشد الإنكار، بل اعتبره منهجاً مخالفاً لسنته وشريعته، روى الإمام البخاري ومسلم في صحيحيهما، عن أنس رضي الله عنه أن نفراً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر؟ فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش. فحمد الله وأثنى عليه فقال: ((**ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**)).[53] بل

---

[50] البخاري، **الصحيح**، ص615 رقم 3038، ومسلم، **الصحيح**، 1359/3، رقم 1733.

[51] البخاري، **الصحيح**، ص 20 رقم 69 ، ومسلم، **الصحيح**، 1359/3 رقم 1734.

[52] مسلم، **الصحيح**، 2055/4 رقم 2669 .

[53] البخاري، **الصحيح**، ص1100 رقم 5063، ومسلم، **الصحيح**، 1020/2 رقم 1401.

قد جاءت السنة بالأمر بما نطيق من العمل، روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**إياكم والوصال مرتين، قيل إنك تواصل؟ قال: إني أبيت يطعمني ربي ويسقين، فاكلفوا من العمل ما تطيقون**)).[54]

وقد تنوعت الرواية في ذلك ففي روايه: ((**مه عليكم ما تطيقون من الأعمال**))[55] وفي أخرى : ((**خذوا من العمل ما تطيقون**))[56] فهذه الروايات باختلاف ألفاظها تفيد أن المشقة ليست مطلباً شرعياً. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يراعي الأمة في رفع المشقة عنهم، وذلك بترك بعض التشريع خشية المشقة على الأمة، كما في تأخير صلاة العشاء، والأمر بالسواك مع كل صلاة أو وضوء. بل بيّن النبي صلى الله عليه وسلم إن الله غني عن تعذيب النفس بالمشقة عليها في التقرب إليه، روى البخاري عن أنس رضي الله عنه عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى شيخاً يهادى بين ابنيه، قال: ((**ما بال هذا؟**)) قالوا: نذر أن يمشي، قال: ((**إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغني، أمره أن يركب**)).[57]

الخامس: النهي عن التفريط في الحقوق والواجبات البدنية والأسرية

الإسلام دين الوسط والعدل، ولم يكن في التشريع ما يكون فيه القيام بأمر يكون معه التفريط والتقصير في حقوق وواجبات أخرى، كالحقوق والواجبات الأسرية والبدنية، وهذا ما دلت عليه السنة النبوية في توجيهاها بتحقيق التوازن والعدل في الحقوق الشرعية، والواجبات الأسرية، وخاصة فيما يتعلق فيها بالنوافل، ومن ذلك قصة اجتهاد عبدالله بن عمرورضي الله عنه في نوافل الصلاة والصيام، وما كان له من توجيه من رسول صلى الله عليه وسلم في إعطاء كل ذي حق حقه، روى

---

[54] البخاري، **الصحيح**، ص388 رقم 1965، ومسلم، **الصحيح**، 774/2 رقم 1103 .

[55] البخاري، الصحيح (ص 226 رقم 1150) ، ومسلم: الصحيح (541/1 رقم 784).

[56] مسلم، **الصحيح**، (برقم 785).

[57] البخاري، **الصحيح**، ص369 رقم 1865 ومسلم، **الصحيح**، 1263/3 رقم 1642.

البخاري في صحيحه، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟**)) فقلت: بلى يا رسول الله، قال: ((**فلا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقا**..."[58].

فهنا النبي صلى الله عليه وسلم يوجه ابن عمرو إلى الموازنة بين الحقوق والواجبات، وبين نوافل العبادات، من صلاة وصيام وغيرها، وقد ترسخ هذا المنهج في نفوس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان بعضهم يوجه بعضاً إلى هذا المنهج، وهذا ما تمثل في قصة سلمان الفارسي مع أبي الدرداء رضي الله عنهما، روى البخاري في صحيحه، عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال: لها ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال: كلّ. قال: فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نمّ، فنام ثم ذهب يقوم، فقال: نمّ، فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصلّيا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((**صدق سلمان**)).[59] فهذا هو المنهج الوسط الذي يحقق العدل في القيام بالحقوق الشرعية، والواجبات الأسرية، والنفسية، فلا تفريط ولا إفراط، بل منهج نبوي، وسنة محمدية، متمثلة في تحقيق هذا المنهج الوسط فلله الحمد والمنة .

---

[58] البخاري، **الصحيح**، ص390 رقم 1975 ومسلم، **الصحيح**، 812/2 رقم 1159.
[59] البخاري، **الصحيح**، ص389 رقم 1968.

السادس: مراعاة حال الضعيف وذي الحاجة في العبادات الجماعية

ومن هذا المنطلق ولتحقيق منهج الوسطية، كان هدي النبي صلى الله عليه وسلم فيه مراعاة لأحوال الناس وظروفهم، واختلاف قدراتهم وطاقتهم، بل ويأمر به أمته، وقد تحقق هذا المنهج في شعيرة الصلاة التي هي الركن الثاني من أركان الإسلام، روى البخاري في صحيحه، عن أنس رضي الله عنه قال :" ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ولا أتم من النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كان ليسمع بكاء الصبي فيخفف مخافة أن تفتن أمه ".[60] ومما أمر به في هذا الشأن، ما رواه البخاري في صحيحه، عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رجل يا رسول الله لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان، فما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في موعظة أشد غضباً من يومئذٍ. فقال: ((**أيها الناس، إنكم منفرون، فمن صلى بالناس فليخفّف، فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة**)).[61] فهذا أمره صلى الله عليه وسلم بل اعتبر أن عدم مراعاة أحوال الناس وظروفهم نوعا من التنفير، وما ذاك إلا لأجل تحقيق منهج الوسطية الذي هو العدل وعدم الإفراط أو التفريط .

هذه بعض المعالم التي فيها إشارات إلى منهج الوسطية في جانب العبادات، ولو أردت الاستقصاء لطال بي المقام وقد يكون في الإشارة ما يغني عن كثير من العبارات والاستدلالات، والمقصود إبراز معالم ودلالات الوسطية في السنة النبوية في الجانب التعبدي، وهذا ما قد ذكرته واستدللت عليه بما تقدم، والله أعلم .

---

[60] البخاري، **الصحيح**، ص142 رقم 708، ومسلم، **الصحيح**، 342/1 رقم 469.

[61] البخاري، **الصحيح**، ص25 رقم 90، ومسلمن **الصحيح**، 340/1 رقم 466.

الخاتمة

وبعد إتمام هذا البحث تبين لي أن الوسطية وصف شرعي امتدح الله به أمة الإسلام، فتميزت به عن غيرها من الأمم، وأن الوسطية ليست شعيرة أو عبادة يطلب القيام بها، بل هي وصف لشريعة الله اعتقاداً وعملاً وتشتمل على كل معالم الدين عقيدة، وعبادة، وسلوكاً، ولذا حرص النبي صلى الله عليه وسلم أن تحقق الأمة وصف الوسطية في كل شؤونها، حتى تتميز عن اليهودية والنصرانية التي خالفتا الصراط المستقيم. ومما يؤكد عليه في نتائج هذا البحث أن التقرب لله في العبادات لا يكون بمشقة النفس وتكليفها ما لا تطيق مما لم يشرعه الله.

هذا ما تيسر طرحه في هذا البحث، والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجه الكريم، وأن ينفعني به، وينفع به الإسلام والمسلمين.